

بَابُ الْحُجُبِ وَالْأَلْبَسِ

تعارض العقل والنقل

(في الاسلام)^٥

نص السؤال

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الى جناب المكرم الاخ في الله مفيد السائلين وقدوة الناسكين امام المحدثين
سالك منهج الراشدين شيخنا الفاضل الامجد محمد جمال الدين القاسمي سلمه الله من
كل شر وجعلنا وإياه من اتباع سيد البشر آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومضمرته ومريضاته . اما بعد فانه وصل بنا عزيز
كتابكم ، ثلثناه سرورين بسني خطابكم ، وحمدنا الله على ما اولاكم ؛ اصلاح الله
احوالنا واحوالكم ؛ واحسن عواقب الجميع انه ولي التوفيق
وبعد اني نظرت في اما كن من كلام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه مثل
توسطه في ذم السياسة وذم التقليد ومحبة لطريق السلف وحشه على النظر فيه في اصول
الاعتقاد وحشه على ماخذ الائمة من الكتاب والسنة واحترام اهل الحديث واهل
الانبياء وتمييزه طريقتهم عن غيره ، فحق لي ان أقول هو العالم الجبر الذي ينبغي ان نشد

٥) سؤال من الشيخ عبد العزيز السناني العالم السلفي عن عبارة الاستاذ الامام في كتاب
الاسلام والنصرانية وجهه الى الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عالم دمشق العامل الشهير وجواب
هذا عنه واذعان السائل لجوابه

إليه الرجال ووددت اني سأكفي في حياته ابضاح قاعدة في اصل الاعتقاد قد رسمها في كتاب الاسلام والنصرانية في تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض قال في كتابه « اتفق اهل الملة الاسلامية الاقليلا من لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل . و بقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتقويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوايين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . (وقال) وبهذا الامس الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هدت بين يدي العقل كل سبيل ، اه كلامه قسمها ثلاثة اقسام ، الاول التقديم عند التعارض مطلقا ، والثاني التفويض ، والثالث التأويل ، فالاول لولا ذمه لتقليد الفقهاء فضلا عن الآراء الفلسفية قلنا هذا تقليد لم يبن على اصلهم ، والثاني التفويض وفي ما قبله ، والثالث لولا تميزه واعلاؤه طريقة السلف قلنا عني بالتأويل اصطلاح الفيلسوف الذي حقيقته التبديل ، وكذلك (قال) وهذا الذي عليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم فهما من ذلك انه يبي تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة لكن لم يحط به على خلاف ما يتوهم ، ولأنه بعيد من العبارة والتقليد بغير الوقوف على الحقائق ، وانني اعلى نظري بل على قدم ان العقل عقابين عقل صحيح وعقل فاسد وان النقل تقابلي (؟) قل صريح صحيح ونقل غير صحيح فالنقل الصحيح ، موافق للنقل الصحيح ، لا تعارض ولا تنازع بينهما وما حصل من التنازع فهو من سوء الافهام ليس هو اختلال في العقل الصحيح ، ولا قصور من النقل الصحيح ، ودم هذا لم يرتفع عني وجه الاشكال بالكلية ، بل على هنيهة ، لاني ذلك من الاجال واحتمال التفاصيل ، يحتاج الى فهم سيال وفكر وقاد فاستشكلت ذلك جدا ، وطلب التسليم قاعدة صاحب الاسلام والنصرانية اعوزني الى ان انظر في كتاب شيخ الاسلام ابن تيمية المسمى بالجمع بين العقل الصحيح والنقل الصحيح وهو بهامش كتابه منهاج السنة في الرد على الرافضة فسرحت نظري في اول الكتاب واسترسلت به نحو فصلين فصر على التسليم للتقديم مطلقا فأوقفني ذلك الكتاب على مثل ابجاث موارد طرق شئ متباعدة الاعاق ، متخافة المساق ، متبانية المذاق ، فيها ما هو ملح اجاج آسن كدر ، ومنها ما هو عذب صاف فرات سائغ للشراب ،

وما بينهما في الأقل والاكثر مزج من الجانبين فصوبت نظري مليا في ذلك فاذا الناس في تنوع طرقهم الى مواردهم بهرعون سراعا ، أقطعا وأرسالا وأشتاتا ، لا يصددهم وذبح قذى ما في مواردهم ، فسبطان الله لقد استعذب كل اناس مشربهم ، ثم علوت اعلا ثيل تلك الموارد ، دفن البدن من زواجج التنكر ، شعث القلب طفا ، منتظر الكبد غلما ، مرتجف الاعظم وجللا ، مضقرا لم شعث قلب ، وضم فطرة كبد ، ونهش ظمرا ، وسكون اعظم ، وتمريض طيب ، فاستجرت بذلك اليكم ، كي استضي بنور علمكم ، واستصبح بشكاة فهمكم ، وأستمعن بياسق فضلكم ، الى معرفة أصول الايمان الذي انزلت به الكتب ، وارسلت به الرسل ، وما يتوقف وجود الايمان على وجوده ، وما يهدم من عدمه ، ولكم في ذلك ان شاء الله الاجور الوافرة ، والمقامات الفاخرة ، في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله واياكم السداد ، وألهمنا وإياكم الرشاد ، انه رؤف بالعباد ، هذا ما يلزم

وأبلغ سلامي فريد عصره ، نابضة دهره ، مفيد المستفيد ، امام وقته ، بركتي ومحبي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الاخ محمد ديب واخوانكم السادة الابرار ، وأولادكم الاملهار ، ومحبيكم الاخيار ، ومن لدينا مخدمكم محمد وابن عمه احمد والمشاخ أهل النهى السادة الفضلاء كافة بيت الآلومي علي افندي ومحمود شكري افندي وكافتهم والشيخ عبد الرزاق الاعظمي وكافة من تلامذة هؤلاء واسانذة تصحبهم ، فنشد ذكركم يودعوننا السلام عليكم ومن يحبكم وانتم في امان الله وحسن رعايته والسلام
غرة ربيع ثاني سنة ١٣٢٤ هـ المحب الداهي

عبد العزيز ابن محمد السناني

ثم ذيله بقوله :

صاحب هذه القاعدة المذكورة (١) اقواله في الحث على التمسك بالدين الحق وايضاح مأثره وتقديةه وتقديةه لاصوله في سائر اقواله في كتبه ومجالسه ومحافلها يخالف ما تتخيله من التناقض فيها اللهم الا وهما وليس المعصمة لغير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

جواب الشيخ جمال الدين القاضي

باسمہ تعالیٰ و محمدہ

الى الشيخ الامام الرباني ، الشيخ عبد العزيز السناني ، أبقاه الله مفيداً
 للطالبيين ، وداعياً للجهل المتين ، وقائماً بنصر السنة القويمة ، والمحجة المستقيمة ،
 سلام الله عليكم ورحمته وبركته ورضوانه
 أنهي إليكم انه وصلي عزيز خطابكم ، وكريم كتابكم ، فمدت المولى على
 صحتكم ، ودعوت لكم بدوام افادتكم ، وعموم النعم بماحتكم ، تضمن كتابكم
 الجميل ، أهم بحث جليل ، ومسألة جدرة بالتحقيق ، واعارثها النظر الدقيق ، مسألة
 اضطرت فيها الانتظار ، واعملت فيها من عهد السلف الافكار ، وصنفت فيها
 المصنفات ، وتنوعت فيها المذاهب والمقالات ، مسألة هي أشهر المسائل الكلامية ،
 ومحك افهام الفحة السلفية والخلفية ، مسألة من وقف منها على الصواب ، بعد اجتيازه
 عقبات الارتباب ، فقد فاز فوزاً عظيماً ، وكان في الامة اماماً حكيماً ،
 قبل ان تكلم في هذا البحث أريد ان أذكر امراً اراه من أوجب الواجبات ،
 وأهم المهمات ، ألا وهو اطراح المصيبة المذهبية ، والحجة القومية ، والاتفات في
 كل مسألة الى دليلها ، والبحث مع برهانها ، فإننا عن الحق نبحث ، واليه نسمى ،
 والحق ما قوي فيه الدليل ، واتضح معه البرهان ، فمن أدلى ببرهان ناصع وحجة
 قوية فهو الحق الواجب اتباعه ، المتحتم اقتفاؤه ، من أي مذهب كان ، ومن أي
 فرقة وجد ، وفي أي قطر ولد ، وفي أي جيل نشأ ، والحاصل اننا أبناء الدليل ،
 وأتباع البرهان ، اقول هذا أولاً
 ثانياً من الآداب التي يقتض - فيما اراه - سلوكها والاخذ بها ، والدعوة
 اليها ، وهي من لوازم التمهيد الاول - رفع التنافر من الفرق ، ومحو التضليل
 والتسقي من النفوس ، واقامة الاعذار ، لسائر أهل الأنظار ، ما داموا داعين
 الى الدين ، متمسكين بشرعه المتين ، يصلون صلواتنا ، ويستقبلون قبلتنا ، وان

يتحقق ان الكل طالبون للحق ، جادون للحصول عليه ، ساهون وواهب ، فيمذرم
بنك ويرحمهم ، ثم من أخطأ منهم الدليل ، ونكب عن سواء السبيل ، فبما يعتقد
خصمه فانه بعد بذله جهده معذور بالاتفاق ومأجور بنص الشارع ، وعلى خصمه
ان يحمده مولاه ، على ما هداه ، ويشكره على ما أولاه ، ويقول الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ،

لا أنكر ان المرء اذا بحث ونحس وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي
يخالفون به أهل الحديث كله انحرافا ، ووجد أن الحق مع أهل الحديث باطنا
وظاهرا ، ولكن آسف لأن تكون هذه المسائل مدعاة للتفرق ، سائفة للتحزب
والتمادي ، باعثة على التناز بالألقاب ، مثيرة أحيانا للظن بانسان إثر الترامي
بشغايا اللسان ، هذا وديتنا واحد ، وكتابنا واحد . وقبلتنا واحدة . وأصول
إيماننا واحدة . من أين أتينا ومن أي صوب رمينا ، اتينا من نبد الرحمة ، والزهد
في التآف ، والرغبة عن التضام ، من دخلنا أفسدوا جامعتنا ، أو من فلاتنا ، أو
من مفسرين عن فهم روابط الدين ، فأنا لله

نحن في عصر أحوج الى الرجوع الى المنطق عليه ، والدعوة بالحكمة اليه ،
فن اتقاد ، واعتنى بميل السداد ، والا فلا تفسيق ولا تضليل ، ما دام على قانون
التأويل ، وقد صرح بذلك حجة الاسلام عليه الرحمة

انما جعلت بهذا التمهيدا لسانا من قوم يتحزبون لفريق دون آخر ، ولا ممن
يطادي ائتلاف عداوة قلبية ، بل ممن بين الحق الذي يراه ، ويمجادل بالحكمة
والموعظة الحسنة من أباه ، فان اهتدى فلفسه ، وان أصر معتقدا حجية ما لديه
وصحة ما ينتحل فيكشف له غلطه ، فان رجم (فذاك) والا بأن هاد الى مشربه ،
وقد استحكم في قلبه قواعد مذهبه ، فما عليك الا إبانة الرشاد ، والله الهادي ،

مبحثنا في دعوى تمارض العقل والنقل

ما ذا يقول العاقل من هذه الجملة التي دبت على الالسنه ، ومشت مع الزمان ،
وصقلها مرور الأيام ، وامتزجت بكلام أهل النظر وآليفهم قرنا بعد قرن ، وجيلا

بعد جيل ، حتى أصبحت أصلا أصيلا ، وغدت ركنا ركنا ، يتحاكم أهل النظر اليها ، ويعولون في مشكلاتهم عليها ،
 لصح الحق ان بثها في أسفار العلم ، وتقنينها لرواد الفهم ، لما يندعش له الفكر ، ويتألم له القلب السليم ، ولا ينده ذو الفطنة الوقادة ، والفطرة الصحيحة ،
 الا من الدخائل على أصول الدين ، دخائل الخلف المتبعين ،
 من ينكر أثر هذه الجملة على أصول الدين ، ومن لا يألم لما جتته على قواعد اليقين ، يكاد ينخلع القلب عما ترمي اليه من امكان تعارض العقل والنقل ،
 وتباين الأمرين ، ومماذا الله أن يوجد تعارض أو شبه تعارض أو امكان تعارض بين العقل والنقل ، بل العقل في النقل والنقل في العقل ، وماهما تعرف الحق الا كالتروية المشروطة بسلامة البصر وانسباط الضياء ، فلا عقل بدون نقل ، ولا نقل بدون عقل ، العقل والنقل متأخيان في هذه الملة الخفيفة ، ومنتزجان في أصولها وفروعها ،
 كليتها وجزئياتها ، امتزاج الماء في العود والروح في الجسد ، ومتلازمان تلازما لا يقبل الانفكاك بوجه ما ككزوم نظام الكواكب لسيرها المقدر

شبهة هذه القاعدة

حدثني تحرير امام أن حشويا من يبروت قم على الاستاذ عليه الرحمة هذه القاعدة بدعوى تفرد بها ، وعدم سماعها ، فأسفت لأن يصل الحال بالحشوية الى افكار المشهورات سيما مثل هذه القاعدة التي هي أصل للتكلمين أجمين ، وما بنا من حاجة الى التعريف بشهرتها من الاسفار الموجودة وتأيدتها ، فانها بديهية ، الا ان البديهي قد ينبه عليه ، لغشاوة تحول دون النظر اليه ، قال السيد الزيدي في كتابه إنبأ الحق على الخلق « تقديم النقل على السمع اولى عند التعارض لان السمع علم بالعقل فهو أصله ولو بطل النقل بطل السمع والعقل مما وهذه من قواعد التكلمين »

وقال الامام ابن فورك في كتابه تأويل المشابه « ما صحح من الخبر المروي في باب الصفات فهو مرتب على دلائل العقول ليجم بين الدليلين ، ويرفق بين الحجين »

وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد « ما قضى العقل باستحاله فيجب فيه تأويل السمع به »

ويكفي أن شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان ألف كتابه المسمى موازنة صريح المقول ، الصحيح المنقول ، لناقشة هذه القاعدة حيث قال في أوله « قول القائل : اذا تعارضت الأدلة السمية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والنقل ونحو ذلك من العبارات فانه يجب تقديم النقل ، هذا الكلام قد جعله الرازي واتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه » الى آخره وكلام الأئمة في هذه القاعدة شبيه الا ان الحشوي لا يعلم ولا يريد أن يعلم اذكرني كلام هذا الحشوي - والشبيء بالشبيء يذكر - ما وقع من حشوي آخر غيبي قيل له ان السبكي في جمع الجوامع رد على من زعم اقراض الاجتهاد من عصر الاربع مئة وصح بقاءه الى عصره فاخذته الرجفة ، وآلى بأنه قرأه ودرسه ، وسبره ونقصه ، ولم يرتك المقالة من أثر ، فقيل له لو قرأته لدريته ، ثم تراسى على محاوره وتوصل اليه ان لا يضمن عليه بموضع ذلك من الجمع فقال له راجع ما قاله في بحث خلو الزمان عن مجتهد وهو قوله . « والمختار انه بعد جوازه لم يثبت وقوعه » أي وقوع الخلو ، فسقط بين يديه ، وكاد يقضى عليه ، والقصد ان تلك العبارة شبيهة وان كانت في كل كتاب تكسى من الالفاظ اسلوبا خاصا قد يخفى انها هي هو

سبب تأصيل هذه القاعدة

قدمنا ما يمل بالنفس من التألم لدعوى تعارض النقل والنقل وانها عبارة ما كان ينبغي اعارتها ادنى نظر فانه متى اجرى بالنقل على طريقه الصحيح تصافح مع النقل بادىء بدء ولكن يضطرونا للكلام عليها ما يتوكلنا عليه كثير من الخائفين في الكلام مع الفرق والباحثين في علم الكلام ، أرى بعد ثبوتها في كتب الأئمة واندراجها في مباحثهم ان لما وجوها بعضها صحيح وبعضها فاسد واليك البيان ،
لا حدث في عهد السلف الخوض في الصفات والبحث في المعاني عن مروياتها وذاع ذلك وانتشرين حملة الآثار وبين ارباب النظار . اتقسمت الناس في ذلك ثلاثة أقسام فريقان منهم متطرفان وفريق معتدل

اما الفرقة الاولى المتطرفة فهي الفئة المشبهة فانها غلت في الاثبات فغلوها خرجت به عن المقبول وأساء ، فأجرت كل ماورد على ظاهره المهورد في المحلوقين والمفهوم عند الاطلاق على الاجسام ، فاتمى بهم الامر الى التجسيم البحت ، والتحديد الضرف ، واخذت آراؤهم الحقى يتلاعب بها الهوى كيف شاء ، وتفرقوا الى مشبهة الحشوية ومشبهة الشيعة الغالية ومشبهة الخوالية ، كما تراه في كتب المقالات

ولعل هذه الفرقة هي التي استثناناها الاستاذ الامام رحمه الله بقوله « الاقبلا ممن لا ينظر اليه » وفي الواقع هم شرذمة قليلون اذا نسبوا اليهم ولقوة جهودهم لم يبق لهم وزن كما أقيم لغيرهم

واما الفرقة الثانية فقامت في مقابلة اوثك وغاب عليها النظر والتأويل واوهت ان الاولى تنقل ما يلقى بالتوحيد ، وتروي ما لا يصح في الدين ، فرمتها بكفر أهل التشبيه والتمثيل ، ومروق أهل الالحاد والتعطيل ، وقضت على تلك الرويات بأنها مجازات وردت على مناحي معرفة للعرب معهودة في لغتهم وأساليبهم ثم برهنوا على ذلك بان حملها على حقيقتها محال لما يلزم من الحدوث وحلول الحوادث به ، بمنون بحقيقتها ما هو معروف لهم من صفات الخلق واحوالهم ، قالوا فلما جاء النقل بما يوم محالا عند النقل كان للمقل التقديم على النقل وملاحظته أولا وبالذات ، فا أمكنهم ان يتأولوه على قولهم تأولوه والا قالوه هو من الالفاظ المتشابهة المشككة التي لا ندري ما أريد بها ، وبالجملة فجمعوا قاعدتهم الكلية العقلية اصلا محكم والمروي المنقول فرحاله فكان العقل عندهم مقدما على النقل مطلقا وهو لاء الفرقة أيضا من القلاة في التنزيه المتعصبة فيه ، ولذلك كانت فرقة جائرة غير معتدلة ولا مقنصدة فان دعواها في سائر الرويات انها مجازات وان العقل مسيطر على النقل بصرفه كيف شاء كدهوى ان النقل يقبل كيفما كان: احاله العقل أم لا ، صح سنده ام لا ، في ان كانيهما طرفان جارران ، والقصد والتوسط خيرهما ، ولذا قال السيد الزيدي « ومن البدع بدع المشبهة على اختلاف انواعهم وبدع المعطلة على اختلافهم ايضا فغلاهم بمطاون الذات والصفات والاسماء ومنهم الباطنية ودونهم الجهمية . ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض ، (ثم قال) فالفرقان المشبهة والمعطلة انما اتوا من تعاطي

علم ما لا يعلمون ، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه لسلكوا ، فقد اجمعوا على ان طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا ان طريقة الخلف أعلم ، فطالبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم ما لا يعلم فعارضت انظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمية فالشبهة ينسبون خصومهم الي رد آيات الصفات ويدعون فيها ما ليس من التشبيه والمطلة ينسبون خصومهم الي التشبيه ويدعون في تفسيره بالاقوم عليه حجة ، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار ، والاتقدا بالسلف الاخير ، والاتقدا على جليات الابصار ، وصحاح الآثار ، انتهى . وطريق الجمع هو طريق السلف المتقصد ويأتي بيانه على حدة وهو طريق الفريق المعتدل

والمقصود ان الفرقة الثانية اقائمة بالتزويه البحت المحركة للعقل في النصوص تحكما مطلقا القائمة بتقدمه على العقل بطريقها الذي يناه قاعدتها المذكورة فاسدة باطلاقها اذ لو قيل لها ما هو العقل ، وما ميزانه ، وهل يمكن عدم التناقض في مناحيه ، وهل يمكن حمل الامة على سبيله حملا لا ينازعهم وجدانهم في قضية منه ، لكان الجواب الخبرة في الاولين ، والسلب في الآخرين ، فان العقل لا يمكن تحديده في هذا المقام ولكنه ولا بالمرض ، وليس له ميزان ومعيار خاص لتباين الآراء في التأويلات العقلية ، وجواز ان يهدم في اليوم ما بنى منها في الامس ، والمشاهدة قاضية بمنازعة الرجدان لكثير من مسائله وتناقض الانظار فيها تناقضا جليا بما لا يجد الواقف عليه سكون نفس ولا اطمئنان قلب ، فاذن ليس مع من يدعي تقدم العقل مطلقا او مطاردة العقول ما يجزم بانه معقول صحيح متفق عليه معلوم بالضرورة ، وما سبيله كذلك فلا تصح الدعوى المذكورة فيه على اطلاقها ، ومن ادعاها اظهر تناقضه واضطر الي ما يعتدل رأيه ، ويلطف مشربه ، ويصح مذهبه .

واما الوجه الآخر الذي تصحح به هذه القاعدة وتسلم عند كل منصف ويكون عليها مسحة من الحق ولعة من الصواب فذلك في مثل ما قصده الامتاذ عليه الرحمة في حج خصمه النصراني والجمامة . فقد زعم خصمه ان من قضايا الدين ما يملو على تناول العقل والفهم بل يناقضه ، وانه يجب مع ذلك التسليم به 'دينا'

وأنه لا أثر للعقل في باب الدين أصلاً لا طراحه معه جانباً ولزوم الخضوع الأعلى، شاء العقل أم أبى، فناقشه الأستاذ بأن هذا يستحيل أن قبله الفطرة السليمة أو تأتي به شريعة موحاة، وأنه من أوضاع الذين انحرفوا بعد ما تبين لهم الهدى، وأنه أوضح ذلك - على زعم الخصم - لكان الأخرى به أن ينبذه ويتبرج ما هو خير له، وذلك في دين أساسه العقل، وقواه العقل، ودعائه العقل، ومبانيه العقل، فقصدته عليه الرحمة هدم ما بنوه من ذلك الأصل الفاسد الذي يبرأ منه العقل السليم وإبادة أن الدين الخيفي نزل مؤاخياً للعقل بل العقل مرده وإليه تحاكمه ولذلك أكثر التنزيل من التنبه على العقل والتنويه به في مثل قوله «أفلا يعقلون» «لعلهم يعقلون» «وما يتقها إلا العالمون» في آيات لا تحصى، وبالتحكم إلى العقل يعلم الخصم أن ليس مرد ديننا هو الخضوع الأعلى لكهنة الباطل الذين اتحلوا لأنفسهم الربوبية في التشريع ووردوا عقائد شبههم إلى أهوائهم وكفهومهم ما لا يطبقون من اعتقاد ما يحل العقل كالتأثر والاستحالة . . .

بل الدين الخيفي دين العقل، دين النظر، دين التدبر، فمن استعمل عقله ونظيره وفكره من الملاحظة وتأمل في محاسنه وقابل بينه وبين غيره من الأديان لم يلبث أن يستتفه اعتقاداً يترج به في لحمه ودمه حتى يستميت في الذود عن حماه، ثم ترقى الأستاذ عليه الرحمة إلى نكاية الخصم بأن العقل يقدم على العقل إذا عارض قضاءه ليعلم الخصم أن الأساس الأكبر والمرجع الأعلى هو العقل، وأن ليس في الدين ما ينافيه ولا ما يناقضه لا بتأنيده عليه، حتى لو وجد ما يمارضه بأدى بدء لروجم العقل فيه فيجره على أصله وقاعدته ويقضي للعوام أن لا تعارض وأي الأستاذ رحمه الله أن التفويض والتأويل كليهما من قضاء العقل في المسألة، وهو كذلك لأنه لم لا ذلك لكان الأمر إما على حقيقة اليهودية كما فهمه الجبل وهو محال، وإما على أنه فوق العقل وذلك غير مسموح في مبدأ الدين الخيفي، وإنما كان التفويض أحد وجهي قضاء العقل لأن العقل ان يقول للباحث بعد ما وضح وثبت صدق الخبر بذلك من المصوم الذي استنارت حجته فما عليك إلا الإيمان بما جاء به تفصيلاً فيما فصل واجملاً فيما أجمل ومنه أوصاف الربوبية

وما يضاف الى سموها فيكفيك الا ذعان للفقول منها ولم تكلف الخوض في اكتائها فهو ما لا يملكه قوتك ، ولا تصل اليه قدرتك ، وربما عبر بك الحال ، الى الزلل في المتعال ، فتكون جاوزت قدرك ، وتعديت طورك ، وهذا القضاء قضاء مرضي لا يباه القلب ، ولا يجافيه ذو اللب .

كما أن قضاء العقل بالتأويل قضاء مقبول ، لا تحيله العقول ، بل هو الذي آثره جمهور النظار الفحول ، وقد طالمت من ذلك كتاب ابن فورك رحمه الله فرأيت توسع في توجيه المروي من الصفات توسعا غريبا أقام في كل فصل من الشواهد المرية نظاوم من مُشَلِّمِ نثرا ما يفتح الباحث بل يدهشه حتى يخيل للناظر أن ليس وراء ذلك مرضى . وقد حاول رد طريقة السلف وما روي عنهم الى مشربه ورد شبه الطاعنين على المحدثين في طريقة غريبة ، وان تصف في كثير من التأويل ونوقش في توجيهه كل ما روي في الباب ولو موضوعا فذاك بحث آخر .

والقصد أن تأويلاته سائغة وفي لغة العرب منسج لها وترجيب بها ، ومن ينكر وفرة المجاز في اللغة ورقة أساليبه ، وبديع كنياته ، ولطيف مواقفه ، وامرار اعجازه وبلاغته ، لا جرم انه باب من أبواب الخطاب عظيم ، وركن من أركان اللغة قويم ، علي ان من المروي ما لا يمكن معه الا المجاز مهما حاول محاول الحديث . قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وحديث (الحجر الأسود بين الله في الارض)

نعم نمة في باب الصفات ما هوارقى من المذهبين المذكورين - مذهب التأويل والتفويض - وذلك من إثبات تلك الصفات بلا تأويل ولا تمثيل اثباتا حقيقيا يليق بالذات الطيبة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان في رسالته المدنية « مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ان هذه الاحاديث تم كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصلح عن تأويل يفضي الي تبديل ، وتكيف يفضي الي تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف انها تجري علي ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه

عنها وذلك ان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات بحيثى حذوه
ويقيم فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك اثبات
الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يداً وسعاً ولا نقول ان معنى
اليد القدرة ومعنى السمع العلم

ثم قال عليه الرحمة والرضوان : و بعض الناس يقول « مذهب السلف أن الظاهر غير
مراد ويقول أجمنا على أن الظاهر غير مراد » وهذه العبارة خطأ إما لفظاً ومعنى أو لفظاً
لامعنى لان الظاهر قد صار مشتركاً بين شئين أحدهما أن يقال ان اليد جارحة مثل
جوارح المباد وظاهر الفضب غليان القلب لطلب الانتقام وظاهر كونه في السماء أن يكون
مثل الماء في الطرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات الخلقين
ونصوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق وأحسن اذ لا
يختلف أهل السنة ان الله تعالى ليس كمثل شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في
افعاله بل أكثر اهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والجسمة لكن هذا
القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث
حكى عن السلف ما لم يقوله ، فان ظاهر الكلام هو ما يسبق الى العقل السليم لمن
يفهم تلك اللغة ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضوح وقد يكون بسباق الكلام
وليست هذه المعاني المحدثه المستحيلة على الله هي السابقة الى عقل المؤمن بل اليد
عندم كالعالم والقدرة والذات فكما كان علماً وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من
الصفات أعراضاً تدل على حدوثنا يتم ان يوصف الله بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا
ونحوها جسام محدثة لا يجوز ان يوصف الله بمثلها ثم لم يقل أحد من أهل السنة اذا
قلنا ان لله علماً وقدرة وسمعاً وبصراً ان ظاهره غير مراد ثم يفسره بصفاتنا ،
فكذلك لا يجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من
صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته غير مراد
قد اخطأ لانه ما من اسم يسمى الله به الا والظاهر الذي يستحقه الخلق غير مراد
به فكان قول هذا القائل يفتي الى ان يكون جميع اسمائه وصفاته قد أريد بها
ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد

والمنى الثاني ان هذه الصفات انما هي صفات الله سبحانه على ما يليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدمة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف ولما خصائص ولا يدرك لها كيفية كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يطمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب ، (ثم قال) فيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير ؛ لا يمكن ، فمن قال ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له اصبحت في المنى لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تَمَرُ كاجابات على ظاهرها مع العلم بان صفات الله ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوده او قصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني وهو مراد الجهمية ومن تبهم من المتزلة والاشعرية وغيرهم فقط اخطأ اه كلامه

وقد سبق شيخ الاسلام الى هذا الامام ابن بطه رحمه الله حيث قال في الفصل الثامن من كتابه ... د ثم نهاية شغبهم ان اثبات هذه الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم لما نراه في الشاهد وهذا الشغب ينعكس عليهم ويعلم بطلانه بذلك ، ألا ترى أن في الشاهد ان الفاعل للاشياء المثقنة العالم الخبير الحي السميع البصير جسم والله سبحانه حي سميع بصير عليم خبير فاعل وليس بجسم ، فاثبات الصفات له على ما جاء به النص عنه أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يوجب التجسيم ولا التشبيه بل كل شيء يتعلق بالحدث مكيف ، وصفات الباري لا كيفية لها ، فالتجسيم والتشبيه متبنيان عنه وعن صفاته والله التوفيق ،

وكذلك جود في ايضاح هذا المشرب الامام ابن القيم رحمه الله في طريق المجرئين في مباحث التوبة فنقله عنه ونجمه مسك الختام
قال رحمه الله بعد ان ناقش من اوقع الامة في اودية التأويلات وشباب الاحتمالات والتجوزات

(فان قلت) فهل من مسلك غير هذا الوادي الذي ذمته فنسلك فيه أو من

طريق يستقيم عليه السالك ؟ (قلت) نعم بحمد الله الطريق واضحة المنار بينة الاعلام
مضية للسالكين وأولها ان نحدد خصائص المخلوقين ، من إضافتها الى صفات رب
العالمين ، فان هذه العقدة هي أصل بلاء الناس فمن حلها فإ بعدها أسير منها ، ومن
هلك بها فإ بعدها أشد منها ، وهل نفي أحد مانع من صفات الرب ونعوت جلالة
الا لسبق نظره الضيف اليا واحتجابه بها عن اصل الصفة وتجردها عن خصائص
المحدث فان الصفة يلزمها لوازم باختلاف محلها فيظن القاصر اذا رأى ذلك اللازم
في المحل المحدث انه لازم لتلك الصفة مطلقا فهو يفر من إثباتها للخالق سبحانه حيث
لم يتجرد في خلقه عن ذلك اللازم وهذا كما فعل من نفي عنه سبحانه الفرج والحبة
والرضاء والغضب والكرامة والقت والبغض وردها كلها الى الأرادة فانه فهم فرحا
مستزما لخصائص المخلوق من انبساط دم القلب وحصول ما يفهمه وكذلك فهم غضبا
هو غيلان دم القلب طلبا للانتقام وكذلك فهم حبة ورضا وكرامة ورحمة مقرورة
بخصائص المخلوقين فان ذلك هو السابق الى فهمه وهو المشهور في علمه الذي لم
تصل معرفته الى سواه ولم يحيط علمه بشيئه ولما كان هو السابق الى فهمه لم يجد بدا
من نفيه عن الخالق والصفة لم تتجرد في خلقه عن هذا اللازم فلم يجد بدا من نفيه
ثم لأصحاب هذه الطريق مسلكتان أحدهما مسلك التناقض الين وهو اثبات كثير
من الصفات ولا يلتفت فيها الى هذا الخيال بل يثبتها بمجردة عن خصائص المخلوق
كالعلم والقدرة والأرادة والسمع والبصر وغيرها فان كان اثبات تلك الصفات التي قالها
يستلزم المحذور الذي فر منه فكيف لم يستلزمه اثبات ما اثبتته ؟ ون كان اثبات
ما اثبتته لا يستلزم محذورا فكيف يستلزمه اثبات ما افاء ؟ وهل في التناقض اعجب
من هذا ؟ ، والمسلك الثاني مسلك النفي العام والتعطيل المحض هو با من التناقض
والتراما لأعظم الباطل واحل المحال ، فإذا الحق المحض في الاثبات المحض الذي
اثبتته الله لنفسه في كلامه وعلى لسان رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير
تحريف ولا تبديل ، اه

وبالجملة فهذا المذهب الاخير مع المذهبين قبله كلها اجمالا من المقول أعني
عما أبان العقل فيها معاني سليمة مما يوم محالا عنده ، وبه يعلم ان ليس في الدين ما ينافر

العقل أو يعارضه بل هما كالسدى واللحمة في كونهما قوام الثوب وكالروح والجسم في حفظ الحياة

* * *

هذا ما رآه الفكر القاصر في القصد من تنويه الأستاذ المرحوم بالعقل أعني حجج خصمه واعلاء منزلة العقل في الدين الاسلامي وتبنيه خصمه على ان بالعقل يميز الانسان بين احوال الماضي والحال فيفرق تبعا لذلك بين الشرائع فلا بد ان يمتد بسبب تهضيد العلم والبداهة (٤) على الدين الذي يجب ان يكون خاتمة الاديان كلها وبقايا بقايا النوع الانساني

والاستاذ المرحوم وان كان يجري في كلامه أحيانا على قواعد النظر والتكليف ويدافع بها فهو لم يخرج عن حبه للسلف واعتقاده بمشربهم واذكرنا ليلة كنا في ضيافته في داره وسمرنا معه اكثر من ثلث الليل أيام رحلتنا الى تلك الاقطار وقد كنت قرأت في مواضع من كلامه ميلا لذهب الخلف المأولين من الاشاعرة وغيرهم وقد افضى البحث بنا الى مسألة الصفات اني قلت له « اني لاعجب من هؤلاء المتأولين المتدفعين على رفع الظواهر المكبرين لا مطلقا أفهم غير من الله على ذاته المقدسة حيث اطلق في كلامه وعلى لسان رسوله تلك النعوت الجميلة التي تأتي كثرتها التأويل الذي لا يؤمن في اكثره من التعطيل ؟ افليس الاثبات على الطريقة السلفية هو الاصول والاقترب ؟ » فرأيت رحمته الله أقر على ما قلت وصدق ما ذكرت ولم ينتصر لمذهب الخلف ولم يشر اليه مع انه ليبتدئ في غير هذا البحث حاور وناقش وحقق ودقق ، هذا ما أحققه منه ، رحمه الله ورضي عنه

نتيجة البحث

أوضحنا أن قصد الأستاذ هو التنويه بالعقل في الشرع وملاحظة انه الاصل في اثبات قواعد الايمان وهذا مما لا ريب فيه فان وجود الله تعالى ووحدته في ألوهيته وما يجب له من جلال النعوت وتصديق رسوله برسالاته بما نصبه دليلا على صدقه كل ذلك مما نظر فيه العقل وتدبره فآمن به ، وهذه الاصول التي هي قوام الشرائع اما مستند ثبوتها النظر العقلي اتفاقا

فلحظ تقدم العقل على النقل أنما هو رعاية العقل في النقل بالوجه التي قدمناها وبه يظهر ان كلامه رحمه الله موجه لما تقتضيه حكمة التشريع في الاسلام وسره وتفوقه على ما عداه من الأديان التي حرفها أو بابها ، وعلى تسليم انه وافق آراء الفلاسفة في هذه القاعدة كغيره من أئمة المتكلمين فلا غضاضة عليه في ذلك فقد خرجنا على وجه لا يمد عن الصواب ، وجلي انه ليس كل ما للفلاسفة مذموما بل المذموم ما ناقض شرعا أو هدم ركنا ، وكلمة فيلسوف مضاهها محب الحكمة ، والحكمة متقبلة من أي لسان لأنها مساوقة للحق كما اشرفنا له قبل ، قال الامام ابن عبد البر حافظ المغرب وامامه في كتابه جامع بيان العلم وفضله في باب جامع في الحال التي تال بها العلم « وروينا عن علي رضي الله عنه انه قال في كلام له : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأف أحدكم أن يأخذ الحكمة من سمها منه »

اشرفنا الى أن التفويض فيه ما فيه والحق لكم لانه في طيه إشمارا بأن الناس خوطبت بما لا تعقله ولا تفهمه ولا هو من لغتها مع أن اللسان عربي مبين لقوم ساروا في الفصاحة ونبضوا في البلاغة ولم يتطال عليهم فيهما ، ومعلوم أن اشرف ما في القرآن المأمور بتدبره هو ما جاء فيه من نعوت الرب وصفاته الجليلة فاذا لم يعلم أحد مضاهها فأنى يستدل بها ، وفيه سد باب الهدى والبيان منها ، وحينئذ نقول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف قول فيه ما فيه ، واحتجاج من احتج لهم بالوقف على قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) من الغلط في الاستدلال فان المراد بتأويله ما يوئول اليه الامر فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ذلك في حق الله تعالى هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما « الاستواء معلوم والكيف مجهول » وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف : انا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه

فلفظ التأويل في الآية انما أريد به التأويل في لغة القرآن وهو الذي تعرفه السلف وهو الذي أراده الله في مثل قوله « هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله »

وقال يوسف ه يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ، فحمل في الآية الأولى ما يؤول إليه أمرهم من العذاب وورود النار تأويلا وفي الآية الثانية نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه

وأما التأويل الذي هو التفسير ويان المراد به فهذا لا يصح إرادته من الآية لأن الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وكانوا يقولون ان العلماء يطلون تفسيره وما أريد به وان لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وكذلك لا يطلون كيفية الغيب فان ما أعد الله لأوليائه من النعيم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذلك الذي أخبر به لا يطله الا الله ثم من وقف في الآية على قوله تعالى (والراستخون في اعلم) أراد منها هذا المعنى وانه يعلم تأويله وهو منقول عن ابن عباس أيضا وهو قول مجاهد ومحمد بن جعفر وابن اسحاق وابن قتيبة والقول الاول منقول عن ابي بن كعب وابن مسعود وعائشة وابن عباس وهروة بن الزبير وغير واحد من السلف واختلف ، فلا منافاة بين القولين ، لانفكك الجهتين ،

والتأويل المعنى غير التأويل المثبت ، ولشيخ الاسلام بسط لهذا البحث في كثير من مؤلفاته الشهيرة ،

واما ما ذكرتموه من أن التأويل حقيقة التبديل الذي هو اصطلاح المتفلسفة أي ولذلك اعترفوا بأنه غير اسم لما فيه من خطر رفع الظواهر المعنى الى تفسيرها وتفسير البراهين أو أكثرها مع أن القصد بإيجانها والاعلام بها هو إفادة الأمة ونصحها وهدايتها ، فمن التكلف أن يبدل عن البيان الناصح الراجع لبس المزيل للاجمال الى اسلوب يوقع الأمة في أودية التأويلات ، وشعاب الاحتمالات والتجوزات ،

ما مجتموه في التفويض والتأويل هو من تعدد المدققين في باب الصفات الذين نحلي لهم ذلك المشرب المتدل في أزمى حله ، ومع ذلك فتقدم لا يحبط من قدر من ذهب الى التفويض والتأويل ، ولا يقضي عليهم بالنسقي والتضليل ، فان ذلك تضاربي جهدهم ، وغاية نظرهم ، وقدما ان للعقل قبولاً ما ولا ملام على

من بذل جهده ، وأخلص قصده ، نعم يلام من جمد على التقليد المحض بعد أن وضحت الحججة ، واستبان الحجة ،

وقد قدمنا أن الحججة قوية في الإثبات بلا تشبيه ولا تأويل وقد نقل الشعراني في البواقيت والجواهر عن الشيخ ابن عربي رحمه الله أنه حذر من التأويل وناقش متعلقيه في مواضع من فتوحاته فمنها قوله

« اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكاف » قال « وقد أخبر الله تعالى عن نفسه على ألسنة رسله أن له يداً ويدين وأصبعين وأصبعين وعينين وأعيناً وسمية وضحكاً وفرحاً وتعباً وإتياناً ومجيئاً واستواءً على العرش ونزولاً منه إلى الكرسي وإلى سماه الدنيا وأخبر أن له بصراً وعلماً وكلاماً وأمثال ذلك » قال « وهذا كله معقول المعنى مجهول النسبة إلى الله تعالى يجب الايمان به لانه محكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى بما حكم به مخلوق وهو العقل »

وقال أيضاً « جميع الأحاديث والآيات الواردة بالألفاظ التي تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها إياها لولا استصحاب معانيها إياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطب بها مما يخالف ذلك اللسان الذي نزل به هذا التمرين الآتي قال تعالى « وما أرسلنا من رسول الا لسان قومه ليبين لهم » يعني يبين لهم بلغتهم ما هو الأمر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الألفاظ هذه الألفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح ، فنسب تلك المعاني المفهومة من تلك الألفاظ إلى الحق جل وعلا كما نسبها إلى نفسه ، ولا نحكم في شرحها بما لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت فيهم هذه الألفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بخالفهم » فيجب علينا أن نقر بالجهل ، معرفة كيفية النسبة ، قال « وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالف وإطال في ذلك

وقال أيضاً رحمه الله « اعلم ان من أعجب الأمور عندنا كون الانسان يتخذ فكره ونظيره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي جعلها الحق تعالى خديعة للمتل وهو يعلم من ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في المعجز عن أن يكون لها حكم قوة

أخرى كالتقوية الحافظة والمصورة والتهيئة ، ثم أنه مع معرفته بهذا التصور كله يقدّر قواه المأجزة في معرفة ربه ولا يقدّر ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط ، وكل صاحب فكر أو تأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك ،

« فانظر يا أخي ما أقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيئاً مما ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من الغلط والتصوير ما فيها ثم أنه اذا حصل شيئاً من هذه الأمور بهذه الطرق يتوقف في قبول ما أخبر الله به عن نفسه ويقول ان الفكر برده فيقدّر فكره ويزكيه ويشرح شرح ربه ، (وأطال مع ذلك ثم قال) وبالجملة فليس عند العقل شيء من حيث نفسه واذا كان كذلك لقبوله ما صحح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه انتهى

بقية البحث

ذكرتم انه يفهم من كلام الاستاذ رحمه الله انه بنى تلك الاصول على وجه يمكن انه من السنة الخ وكذلك ظاهراً كلامه باديء بدء الا انا بمونة ما قدمناه من ان قصده من مبعثه هو التنويه بالعقل في نظر الشرع يعلم ان مراده ان الكتاب العزيز وصحيح السنة والعمل النبوي كلها مما مهدت السبل بين يدي العقل فكان العقل يقفوها أينما انجبت ، ويساوقها كيفما سارت ، إلا أن نعمة أرا من السنة يؤيد مذهب التأويل الذي يتبادر من سياق تقديم العقل ، وللاستاذ في تأليفه أسلوب غريب يبين اليهود فقد لا يراد من سبكه البليغ ما عهد ارادته من غيره ، هذا ما سنح لسقيم البال ، في فهم كلام هذا الامام المفضل ، وما كنت أظن أن أختلس من وقتي هذه الكلمات فلدي من العوائق عنها ، ما لا يسمح لي بالدنو منها ، اللهم الا ان بركة دعائكم ، واعتناء بديع فوائدكم ، مما يرجى منه شرح الصدر ، وتسهيل الأمر ، وارجو أن تدققوا فيما كتبت ، وترشدوني الى ما فيه سهوت ، فان المقصد الوقوف على الحق ، واعتناق الفكر من اغلال الرق ، والحقيقة بنت البحث ، وارانني بانتظار جوابكم الميمون ، وارشادكم الحصون ، نفعا للمولى ونورا اذهانا بما رزقكم ، انه خير مجيب ،

ما حلني على اطاعة الجواب وتكبير البحث نوعا ما الا ابلاغه لمسمع اخواني وصحي ممن لم يتأهلوا بعد لمطالعة الكتب الكبيرة في هذا الموضوع ، وفيهم حرص على الوقوف على تحقيق ذلك فاردت ان اقدمه بين يدي مستقبلهم نموذجاً يشرفون منه على مجمل تلك المباحث الكبيرة، فلا ملام فيما تخلاه من النقول المعروفة لديكم ،
 زارني اثناء كتابتي هذه الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري فقرأ كتابكم وجانباً كثيراً عما كتبت فاستحسن التوسع في هذا الموضوع وقال انه يقل دونه مجلد واكد علي ان تدققوا فيما كتبنا وان لا تفضوا علينا بما يظهر لكم من المناقشة لهم الفائدة وهو يسلم عليكم

واني أهدي اعظم التسليمات لحضرات السادة الآلوسيين الكرام شمس الهدى الاعلام السيد محمود شكري افندي والسيد علي افندي وحضرة العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي الاعظمي ومن يصحبهم من الاساتذة ، ومن كل التلامذة ، بارك الله في حياتهم ، ورفع الامة بعلومهم ، ومن عندنا العلامة الشيخ عبدالرزاق افندي البيطار والشيخ محمد ديب الضيفي واشقائي يهدونكم السلام ويرجون دعواتكم الصالحة ، في الاوقات الكاملة الراجعة

قاله بنه وامر برقمه وكتب هنا بقلمه الفقير محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

جواب الجواب

لم يرض على ارسال الجواب لذلك السؤال ودح من الزمن حتى ارسل الينا صاحب السؤال العالم البركة الصالح الشيخ عبد العزيز السناني المتقدم ذكره بجواب كنا نود وايم الحق ان نستعيض عن تلك المدائح بالمناقشة والانتقاد ، ولكن ابي الحق الا ان يظهر ويكون له التأثير القوي ، والنقود الخارق في امثال هاته المباحث الخطيرة ولو ذكره الماندون . ونحن نذكر نص الكتاب حفظاً لتلك الآثار خشية ان تقالما ايدي الضياع مع تصرف يسير وحذف لجل خصوصية لانفيد فائدة عامة وهالك صورته:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الى جناب الاجل الامجد العالم الفاضل اوحد زمانه ، مفرغ السائلين ، مرشد
الناسكين ، امام المحدثين ، الموفق لتبج الراشدين ، شيخنا وبركتنا الشيخ محمد جمال
الدين القاسمي سلمه الله تعالى من كل شر وجعلنا واياه من اتباع سيد البشر آمين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ومنفرته ومرضاته . وبعد وصل اليك كتابكم
الشريف ، المفيد بالجواب السداد الموجز المنيف ، المقيد لشوارد المسائل المهمة ،
والاعوذج لا حوتها جل كتب الجاهلذة المحققين اهل النظر الكبار ، فياه من جواب
ما اجله واشرفه ، كيف لا وقد حل حرازة الصدر ، في الذود بما عقده الأستاذ الحكيم
من اصول الدين ، وانبلج به مأخذ الوجه المستقيم من الكتاب والسنة واقادنا فوائد
ومعاد اليك بمرائد كذا عنها في سدف ، فاستضات لنا وجوهها ، فأتى بما فوق ما املناه
فلا خاب املنا ، ولا اظلم مفرغنا ، فانه قد جعلنا مونة النظر والتكفات وحذرتنا
صعب العقبات المتحريرات (كذا) بالملكات ، وفتح لنا ابواب سني الطرق واقوم
السبل ، وجعل بالساذئين ، فيافوز من اهل لجنى تلك الثمرات ، فلزم ان نحتفظه
ونستعمله عليه ، ونجعله حدة لراقي سني السير ، ومردا لطامح الفكر ، وجامع الخطر ،
وكذلك من نظر في الجواب من اهل التحقيق طلب منا صورة السؤال الباهت للجواب
وغبة نفسهما ولا غرو اذ كان صدره من ذوي السهم الراجح والمثل الراجح ، والدرجة
العليا من اهل العلم الذين شرفهم الله بشرف العلم ، وكرمهم بوقار العلم ، فله الحمد جل
ثناؤه حيث كف اليه حفظا من خلقه ، يجهلون قواعد شراسته ، ويدفون عن عراه ،
بني من بناء ، ويدفون عنه كيد كل شيطان وخلافة ، وجعلهم لاهل الدين اعلاما ،
والاسلام والمهدي ملوا ، ولاهل الحق قادة ، والعباد أمة وسادة يتعرون جزيل
الثواب من الله ، ويتوخون رضي الله بالصواب ،

(ثم قال في وصف العلماء الصالحين ، الذين يقومون بالاصلاح ويقاومون :)
فلم يكن ينهيهم عن التصيعة لله ما منهم - يروء الجولة - يفتون ، بل كانوا ينهونهم على
(المارچ ۸) (۸۰) (المجلد الثالث عشر)

جوانهم يعرودون وفضلهم على بنفسهم بأخذون ، و يجلون لمن جدم آتارا على الايام
باقية ، و بـ الى الرشاد هادية ، جزاهم الله على أمة نبهم افضل جزاء ، و جهم
من الثواب اجزل ثواب ، (الى أن قال) :

وهم الطائفة الموعودة بالبقاء لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم ، و جهم
مفرعا بما أودعهم الله من نور العلم ، يكشف بهم سدق ظلم الجهل ، و التباس الضلال ،
فمن نفسه جل شأنه أن جعل من تلك الطائفة في زمنا من اتصف بتلك الصفات ،
فتسال الله أن لا يجرنا فضلهم ، و الاقباس من نور عليهم ، (الى أن كتب مايلي) :
هذه مسألة أمتنا غاية ، و حدثني نفسي بمرآة صاحب المنار الشمس ايضا ، و تقصرت
نبيتها ، و ارجيت صاحبنا ، و أزلتم سدقنا ، جزاكم الله عنا و عنه افضل جزاء ، و اجزل ثواب ،
و جمع الاخوان المهين أخذوا بنسخ السؤال و الجواب المذكور و ذلك
لا عجبهم ، جزاكم الله من الجميع خيرا .

الحب
عبد العزيز المحمد السناني

في : ٢٧ جادى الأولى سنة ١٣٢٤

التاريخ

﴿ ديوان الخطيب ﴾

لشعراء تأثير في ايقاظ الامم معروف لا ينكره الا من انكر التاريخ و انت تعلم
منذ حسان بن ثابت و تأثير شعره في اوائل الدعوة الاسلامية ثم انك لا تجهل مقام
مثل الشاعر فيكتور هوغو في أمة ، و قد ظلم في هذه الاثناء هلال في تلك شعراء
العربية جاء مثال من الشعر لم يهد فيه حذاه ، ذلك الشاعر هو فؤاد افندي حسن الخطيب
احد موظفي المطرف في حكومة السودان المصري ، جاء يدايات من قلته برز
فيها على كبير من نهايات غيره ، اتجه بالشعر العربي منها جديدا و صدر ديوانه هذا
بمقدمة في تاريخ اللغة العربية و الشعر لم يفسح على منوالها الشعراء و الكتاب و اليك مثلا
من قوله في التاب

أخروانا الأتراك مندواتنا بنا من الودانا قد مددنا لكم بنا
أخذنا بأحداب التاب وانا أتياهم من كل ضمن مجردا

فقلتم وقتنا غير ان قلوبنا على العهد ترعى حرمة العهد. سرمدنا
وما تقاضى ثورة دموية فلسنا عظامنا نطلب الدم موردا
ولكننا نرجو اخاء موطننا ينز علينا ان يكون مهددا
ومن قوله في الغزل

بعد موتي عناصر الجسم تحصل فينصبا النبات طعاما
فأذكريني اذا تكلمت بالزه ر فيه هباء جسي اقاما
وانشيقه فان فيه اريجا عاطرا كان في فوادي خراما
والديوان قد طبع طبعا حسنا على ورق جيد بمطبعة المنار ويباع في مكتبها بثلاثة
قروش صحيحة وللأمانة المدارس العالية بقرشين

﴿ كتاب الكلية العلمانية الفرنسية ﴾

أهدت الى ادارة المنار الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت كتابها السنوي
وفيه بيان فروعها وشروطها وقوانينها
وهي أربع دوائر التعليم العام ودائرة الأعداد للمدرسة الطبية والدائرة
الصناعية والدائرة التجارية وتنوي انشاء فرع زراعي في نواحي البقاع حيث انحصب
وسعة الأرض ، ولاصيفة دينية لهذه الكلية ولعلها أول بعثة علمية غربية جاءت الى
الشرق باسم العلم عاريا عن اسم الدين فانها ذكرت انها لا تتعرض لدين التلامذة
كما انها لا تعارض أحدا بدينه وربما سهلت له الطريق كما تقول
وقد ذكر في مقدمة كتابها هذا ان غاية هذه البعثة العلمانية انما هي خدمة فرنسا

خارج فرنسا في مستعمراتها وفي البلاد الأجنبية ونشر لغتها ومبادئها الخ
فهل يعتبر أهل البلاد ومن يدهم زمام الامور ويعلمون بانهم أولى من أولئك الافرنسيين
بترقية لغة البلاد وآداب الشرق وانهم ان لم يسبقوا الى ذلك سبقتهم القوم العاملون وان إهمال
المعارف واللغة والآداب مضيعة للجامعة القومية وتفريق للعناصر الوطنية ولو انشئ في
كل بلد وكل قرية نواد باسم اتحاد العناصر أو الاتحاد والترقي

صالح مخلص رضا